رابطة العالم الإسلامي
مكة المكرمة

أجوبة على أسئلة

بقلم :
د. حسن محمّد باجودة
أستاذ الدراسات القرآنية البيانية
بجامعة أم القرى بمكة المكرمة

أجوبة على أسئلة

بقلم :

د. حسن محمّد باجودة

أستاذ الدراسات القرآنية البيانية

بجامعة أم القرى بمكة المكرمة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فقد تلقيت رسالةً عاجلةً مؤرّخةً في ١٤١١/٩/٢٥هـ من معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الدكتور عبد الله عمر نصيف - حفظه الله - يطلب منّي فيها -مشكوراً - الإجابة على الأسئلة المرفقة، وممّا جاء في الرّسالة: «فقد تلقت الأمانة العامّة للرّابطة من أحد دعاتها في زائير العليا رسالةً مصحوبةً ببعض الأسئلة المقدّمة له من الندوة الكبرى الأبرشية.

ولأهمّيّة المواضيع التي ستكون مدار بحث في هذه النّدوة فإنّي أحيل لفضيلتكم هذه الأسئلة، راجياً الإجابة عليها بأسلوبكم المقنع، وموافاتنا بها في أقرب فرصة ممكنة.

شاكرين ومقدّرين حسن تعاونكم. والله يحفظكم».

ولما كنت حينما تلقيت هذه الرّسالة الكريمة قد قطعت بفضل الله تعالى خطواتٍ واسعة في دراستي المتأمّلة للسّورة السّادسة عشرة من سور القرآن الكريم، ضمن المشروع الذي بدأته في مطلع عام ١٣٩٢هـ والذي غطّى حتى الآن ثلث القرآن الكريم وسبعة آلاف صفحة. وهذه السّورة الكريمة هي سورة المائدة، فقد كان عليّ أن أقف في دراستي المتأملة للسورة الكريمة عند نهاية أحد أقسامها، كي يسهل - بإذن الله تعالى - استئناف الدّراسة المتأمّلة بعد الإجابة - بإذن الله تعالى - على الأسئلة المذكورة.

وحينما ألقيت نظرةً على الأسئلة التي طرحها أساساً بالفرنسية أحد القسس، تذكّرت على الفور الأسئلة التي انهالت عليّ في مساء يوم الأحد الثامن والعشرين من شهر مارس عام ألف وتسعمائة وستّةٍ وسبعين ميلاديّة بعد أن

ألقيت بالإنجليزية محاضرةً في توحيد الأسماء والصّفات في كنيسة ST PE-TER'S ANGLICAN CHURCH في مدينة سدنى بأستراليا، من بين خمسة أساتذة، يمثّل ثلاثة قسس فروع الدّيانة المسيحيّة الكاثوليكية والبروتستانيّة والأرثذكسيّة، ويمثّل حَبْرٌ واحدٌ اليّهودية، وأنا - بفضل الله تعالى - ممثّل الإسلام. لقد كان الاتّفاق مع القائمين على شئون الكنيسة أن أجيب بعد المحاضرة على ثلاثة أسئلة. وشاء الله تعالى أن أجيب بإيجاز وتركيز على ما لايقلّ عن ثلاثين سؤالاً. لقد كنت آنذاك أستاذاً زائراً مبعوثاً من قبل الملك الرّاحل خالد بن عبد العزيز رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً للتّدريس في قسم الدّراسات السّاميّة بجامعة سدنى في استراليا للعام الدّراسى ١٩٧٥/١٩٧٦م. لقد ذكّرتنى هذه الأسئلة بالأسئلة التى انهالت علىّ تلك الليلة في الكنيسة، كما ذكّرتنى بتجربةٍ لطيفةٍ لى في أثناء إلقائى المحاضرة لأنّ أوّل سؤالٍ ألقى علىّ كان متعلقاً بهذه التجربة اللطيفة.

أمّا هذ التّجربة اللّطيفة فهى أن المحاضرة لمّا كانت متعلقةً بتوحيد الأسماء والصّفات، وكان القرآن الكريم هو المصدر الأول للمحاضرة، وكان رب العزة قد أكرمنى بحفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب، فقد كانت تلك المحاضرة فرصة العمر بالنسبة لى كى أرتّل القرآن الكريم ترتيلاً إلى الحد الذى تبيّنت معه أن فريقاً من الحاضرين في الصّفّ الأول أخذت تدور بهم الكراسى الفخمة بطريقة غير عاديّة. لقد فهمت بعد الانتهاء من الإجابة على الأسئلة وبعد أن تمّ تعريفى بالحضور في الصّفّ الأوّل بخاصّة، أن أولئك الّذين دارت بهم الكراسى في أثناء تلاوتى للقرآن الكريم بخاصّة، والّذين كانوا يرتدون الملابس التى يرتديها بقية الحاضرين، لم يكونوا سوى كبار القسس في تلك الكنيسة وفى غيرها من الكنائس، ولكنهم غيّروا أزياءهم!

لقد كان أول سؤالٍ ألقاه علىّ كبير القسس - كما عرفت فيما بعد - كان على حسب قوله باسمه وباسم كلّ الحاضرين: لماذا أكثرت من قراءة القرآن الكريم وترتيله ترتيلا ولا يكاد يوجد من بين الحاضرين من يعرف اللّغة العربية كى يفهم معنى ما قرأت من القرآن الكريم؟ لقد كان طارح السؤال

صادقاً فى عدم وجود من يعرف اللّغة العربية رغم الإعلان الواسع عن المحاضرة فلم يكن فى القاعة من المسلمين سواى وسوى زوجتى، ولم يكن فى القاعة ممّن يعرف العربية سوى أحد الأساتذة من قسم الدّراسات السّامية بجامعة سدنى.

أما وقد حقّقت رغبتى من ترتيل القرآن الكريم ترتيلاً، بأكثر ممّا فى نصّ المحاضرة، وذلك فى أثناء إلقاء المحاضرة، فقد كان علىّ فى الجواب أن أبيّن الحكمة من وجوب سماع القرآن الكريم فى لغته العربيّة التى نزل بها وهى أنّ التّرجمة لمعانى القرآن الكريم، مهما تكن دقيقة فى نقل المعانى، فإنها عاجزةٌ عن نقل شىٍ من ظاهرة تلاؤم الأصوات التى يشعر بروعة جمالها من يستمع للقرآن الكريم وينصت له ولو لم يعرف لغته العربيّة.

لقد عرفت فيما بعد أن وقع جوابى على السّائل وعلى الذين يشاركونه السّؤال مثل وقع ترتيلى القرآن الكريم فى أثناء إلقاء المحاضرة وأعجب ما فى الأمر أنّى بعد عدّة أيام تلقّيت رسالةً محمولةً إلىّ من إدارة الجامعة ومبعوثةً من إدارة تلك الكنيسة يطلبون منّى فيها – بعد إزجاء الشكر الجزيل لى على محاضرتى السابقة – أن ألقى عليهم محاضرة أخرى!

لقد كنت وقتها أهيّىء نفسى للعودة الى المملكة العربية السعودية فاعتذرت ووعدت بتلبية الرغبة – بإذن الله تعالى – مستقبلاً.

لقد اعتذرت لأنّ الوقت لم يكن كافياً لإعداد محاضرة ألقيها باسم الإسلام على غير المسلمين، فقد استغرق منّى إعداد المحاضرة السابقة التى ألقيتها فى زهاء نصف الساعة وخمس دقائق، وإعداد العدّة لكل سؤالٍ محتمل يلقيه شخصٌ مسلم أو غير مسلم زهاء ثلاثة شهور.

بقى علىّ أن أقول إن الوقت الذى استغرقته الأجوبة على الأسئلة فى هذه الصفحات هو أقلّ من الوقت الذى استغرقه الإعداد لتلك المحاضرة وملابساتها. ووراء هذا التفاوت فى الوقتين سببٌ، وهو أنّ قارّة استراليا فقيرة فى المصادر الإسلاميّة، وكانت الاتّصالات – آنذاك – بين قارة أستراليا وبين المملكة

العربية السّعودية بطيئةً الى أبعد الدرجات، فقد كان كلٌّ من البلدين عالماً جديداً بالنسبة للآخر. إنّى - بسبب شحّ المصادر - كنت بعد صلاة الجمعة أطوف فى المسجد الجامع وأسأل عن كتبٍ بعينها، وكانت الأجوبة دائماً فى تزويدى بكتبٍ غير تلك التى طلبت، أمّا بالنسبة لكتابة هذه الصفحات فإن الوضع مختلف، إنّ المكتبة الخاصّة - بفضل الله تعالى - عامرة، فكيف بالمكتبات العامّة وسواها.

وبعد هذا الحديث ذى الشجون - كما يقولون - لا أملك فى نهاية هذه المقدّمة إلا أن أشكر لرابطة العالم الإسلامىّ وعلى رأسها معالى الامين العامّ الدكتور عبد الله عمر نصيف - حفظه الله - هذه الثقة الغالية التى أولتنى إياها بأن أجيب على هذه الاسئلة التى تومىء إلى ما يشابهها من أسئلةٍ عن الإسلام تدور فى أذهان غير المسلمين، الباحثين عن الحقّ منهم وغير الباحثين. سائلا الله تعالى أن يأخذ بأيدينا الى أقوم سبيل وأن يوفقنا الى امتثال أمره جل وعلا فى قوله عز من قائل: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾ وأن يعفو عزّ وجلّ عما بدر منّا من تقصير إنه جل وعلا نعم المولى ونعم النصير.

﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا. ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الّذين من قبلنا. ربنّا ولا تحمّلنا ما لا طاقة لنا به. واعف عنّا واغفر لنا وارحمنا. أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين﴾ (سبحان ربك ربّ العزّة عما يصفون. وسلامٌ على المرسلين. والحمد لله ربّ العالمين﴾.

وصلى الله وسلّم على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

كتبه الفقير إلى عفو ربه

د. حسن محمّد باجودة

أستاذ الدراسات القرآنية البيانية
بجامعة أم القرى بمكة المكرمة

مكة المكرمة
صبيحة يوم الأحد ١٩/١١/١٤١١هـ
الموافق ٢/٦/١٩٩١م

سؤال رقم

١

ما هي الظروف التي ولد فيها الإسلام ؟
أو ما هي أسباب ظهور الإسلام ؟

الإسلام بمعنييه العام والخاص

إن أول ما نود أن نقرره هو أن الله سبحانه وتعالى إنما بعث كل رسله، ابتداءً بنوح عليه السلام، وانتهاءً بمحمد بن عبد الله ﷺ، بالإسلام أو بدين الإسلام. والإسلام معناه الاستسلام لله تعالى بالخضوع، والانقياد له بالطاعة، والخلوص من الشرك. جاء خطاباً للمصطفى ﷺ فى سورة الانبياء[١] قوله تعالى: ﴿**وما أرسلنا من قبلك من رسولٍ إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون**﴾ وقد بعث الله تعالى محمد بن عبد الله ﷺ بالصورة الاخيرة من دين الإسلام لله رب العالمين. وهذه الصورة الاخيرة من دين الإسلام ناسخةٌ لكل صورةٍ أخرى سابقة، ثم إن هذه الصورة الاخيرة من دين الإسلام التى بعث الله تعالى بها محمد بن عبد الله ﷺ خاتم النبيين وأشرف المرسلين، وجعل معجزتها فريدةً بين معجزات سائر النبيين لأنها وحدها هى التى تجمع بين المنهج والمعجزة معاً، هذه الصورة الأخيرة من دين الإسلام، استأثرت دون سواها من الصور بلفظ الإسلام. وهكذا يتبين أن لفظ الإسلام له معنيان اثنان، عام يشمل كل دين بعث الله تعالى به رسولاً من رسله ونبياً من أنبيائه، وخاصٌ يتعلق بالصورة الاخيرة من هذا الدين التى بعث الله تعالى بها محمد بن عبد الله ﷺ. واللطيف فى الأمر أن استعمال لفظ الإسلام بمعناه الخاص أكثر من استعماله بمعناه العام.

وإن هذا القول الموجز بحاجةٍ الى شيءٍ من البسط.

كان آدم وحوّاء عليهما السلام فى الجنة. وشاء الله تعالى أن يهبط هو وزوجه الى الارض. قال تعالى: ﴿**قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تُخرجون**﴾[٢] وقد تكوّن من ذرية آدم وحواء عليهما السلام أمةٌ واحدةٌ تعبد الله تعالى وحده لا شريك له، ثم اختلفت هذه الأمة وتفرقت بها السبل عن سبيل الحق جلا وعلا، فظهرت الحاجة الى بعث نبى كى يعيد الأمة الى صراط العزيز الحميد بإذن الله تعالى. وتظل تعاليم ذلك النبى الكريم قائمةً بدورها لفترةٍ ما، ثم يأخذ تأثيرها فى تلك الأمة يقل بمرور الوقت حتى ينعدم أو يكاد ينعدم، فتجدّ الحاجة لبعث نبيٍ وإرسال رسولٍ وإنزال كتاب[٣] ولما بلغت الإنسانية مرحلة الرشد التى تلائمها الرسالة الخاتمة، بعث الله تعالى

(١) سورة الأنبياء الآية ٢٥.
(٢) سورة الأعراف الآية ٢٥.
(٣) سار المسيحيون - مثلا - قرابة ثلاثمائة سنة على خطوات المسيح ثم بدلوا. انظر هداية الحيارى لابن القيم ١٤٢

محمد بن عبد الله ﷺ بها، والتى يناسبها الكتاب الخاتم، فأنزل الله تعالى القرآن الكريم معجزة هذا الدين الكبرى الخالدة الى يوم الدين. قال تعالى: ﴿**كان الناس أمةً واحدةً فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغياً بينهم، فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه. والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم**﴾(١).

ومعنى القول: ﴿**كان الناس أمةً واحدةً فبعث الله النبيين**﴾ كان الناس أمةً واحدةً موحدةً مسلمةً لله رب العالمين فاختلفوا فبعث الله تعالى النبيين. جاء فى سورة يونس قوله تعالى: ﴿**وما كان الناس إلا أمةً واحدةً فاختلفوا**﴾(٢).

وكان نوحٌ عليه السلام أول رسل الله تعالى، وكان محمد بن عبد الله ﷺ آخر رسل الله تعالى. وهذان الرسولان الكريمان من أولى العزم من الرسل الخمسة. وهم مرتبون زمناً على النحو التالى: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين. والى هؤلاء الخمسة أشار قوله تعالى: ﴿**شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه. كَبُرَ على المشركين ما تدعوهم إليه. الله يجتبى إليه من يشاء ويهدى إليه من ينيب**﴾(٣) ولما كان الحديث عن دين الإسلام، وقد بعث الله تعالى به نوحاً عليه السلام أولاً، فقد جاء ذكر نوح عليه السلام من أجل ذلك ابتداءً، ثم تحول الحديث الى ذكر محمد بن عبد الله ﷺ، باعتباره زعيم أولى العزم من الرسل، ثم عاد الحديث الى ذكر البقية منهم مع مراعاة ترتيبهم الزمنى. وحينما يكون الحديث فى القرآن الكريم عن النبيين ثم عن أولى العزم منهم يبدأ الحديث بخاتمهم وأشرفهم محمد بن عبد الله ﷺ وذلك فى قوله تعالى من سورة الاحزاب: ﴿**وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً**﴾(٤) ويلاحظ ان الآيةَ الكريمة بعد الاشارة الى خاتم النبيين تراعى ترتيب بقية أولى العزم من الرسل زمنياً عليهم جميعاً صلوات الله تعالى وسلامه.

---

(١) سورة البقرة الآية ٢١٣.
(٢) سورة يونس الآية ١٩.
(٣) سورة الشورى الآية ١٣.
(٤) سورة الأحزاب الآية ٧.

الأدلة على الإسلام بمعنييه العامّ والخاصّ

ما أكثر الادلة من القرآن الكريم على الإسلام، بمعنييه الاثنين العام والخاص.

ومن الادلة على استعمال لفظ الإسلام بالمعنى العام سؤال إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام الله تعالى، وهما يبنيان الكعبة المشرفة، أن يجعلهما مسلمين له جل وعلا، وأن يجعل من ذريتهما أمةً مسلمةً لله رب العالمين. قال تعالى: ﴿**وإذ يرفع إبراهيمُ القواعِدَ من البيت وإسماعيلُ ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم. ربنا واجعلنا مُسْلِمَيْنِ لك ومن ذريتنا أمةً مسلمةً لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم**﴾[١] وإبراهيم عليه السلام يمتثل أمر ربه جل وعلا له بأن يُسْلم وجهه لله رب العالمين. قال تعالى: ﴿**ومَنْ يَرْغَبُ عن ملة إبراهيم إلا من سَفِه نفسه، ولقد اصطفيناه فى الدنيا وإنه فى الآخرة لمن الصالحين. إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين**﴾[٢] إن الذى يُعرض عن دين إبراهيم عليه السلام هو الذى فعل بنفسه من السَّفه ما صار به سفيهاً. وإبراهيم عليه السلام يوصى بكلمة الإسلام بنيه، كما يوصى بها يعقوب عليه السلام بنيه الذين يعلنون على رءوس الاشهاد، حينما حضرت يعقوب عليه السلام مقدمات الموت وأسبابه وسأل بنيه عن دينهم، يعلنون بأن دينهم الإسلام. قال تعالى: ﴿**ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوبُ يا بَنِىَّ إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتُن إلا وأنتم مسلمون. أم كنتم شهداء إذ حَضَرَ يعقوبَ الموتُ إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون**﴾[٣].

وإذا كان آدم عليه السلام أبا البشر وكان نوحٌ عليه السلام أول الرسل والأب الثانى للبشر فإن ابراهيم عليه السلام هو أبو الانبياء، لان كل الانبياء بعده من ذريته عليه الصلاة والسلام. إن لابراهيم عليه السلام من الاولاد إسماعيل وإسحاق. وإن كل أنبياء بنى اسرائيل من ذرية اسحاق عليه السلام عن طريق يعقوب ابن اسحاق بن ابراهيم عليهم السلام، وإن موسى عليه السلام كبير أنبياء بنى إسرائيل، وإن عيسى عليه السلام آخر أنبياء بنى إسرائيل. وليعقوب عليه السلام اسمٌ آخر هو إسرائيل، وله

(١) سورة البقرة الآية ١٢٧ و ١٢٨.
(٢) سورة البقرة الآية ١٣٠ و ١٣١.
(٣) سورة البقرة الآية ١٣٢ و ١٣٣.

من الأبناء اثنا عشر ولداً ذكراً أصبح كل واحدٍ منهم أباً لقبيلة أو سِبْط. إن السِّبط فى بنى إسرائيل بمنزلة القبيلة فى العرب بنى إسماعيل عليه السلام[١].

وإن محمد بن عبد الله ﷺ خاتم النبيين، وأشرف المرسلين، هو النبى الوحيد من ذرية إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام.

جاء بشأن إسلام أنبياء بنى إسرائيل من بعد موسى عليه السلام قوله تعالى: ﴿**إنا أنزلنا التوراة فيها هدىً ونورٌ يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استُحْفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء. فلا تخشوا الناس واخشونِ ولا تشتروا بآياتى ثمناً قليلاً. ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون**﴾[٢]. إن التوراة التى أنزلها الله تعالى على موسى عليه السلام فيها هدىً من الضلالة ونورٌ فى مجال الاحكام وغير الأحكام يحكم بها النبيون من بنى إسرائيل الذين أسلموا لله رب العالمين، يحكمون بها للذين نشأوا فى اليهودية وعليهم[٣] ويحكم بها الربانيون العلماء الحلماء الحكماء الفقهاء العباد، ويحكم بها الأحبار العلماء.

وإن الذين دخلوا فى دين الإسلام من أتباع موسى عليه السلام كعبد الله بن سلام[٤] وأتباع عيسى عليه السلام كالسبعين قسيساً الذين بعثهم النجاشى إلى النبى ﷺ فى المدينة المنورة[٥] قد نزل فيهم قول الحق جلّ وعلا: ﴿**الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون. وإذا يُتْلَى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين. أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرءون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون. وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلامٌ عليكم لا نبتغى الجاهلين**﴾[٦] إن هؤلاء الذين دخلوا فى دين الإسلام الذى بعث الله تعالى به محمد ابن عبد الله ﷺ إذا يُتْلَى عليهم القرآن الكريم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا جل وعلا وإنا كنا من قبل سماع القرآن الكريم والايمان به مسلمين لله رب العالمين موحدين.

---

(١) تفسير القرطبي ٥٢٥.
(٢) سورة المائدلا الآية ٤٤.
(٣) انظر تفسير ابن عطية ٤/ ٤٥٥.
(٤) الجلالين.
(٥) تفسير ابن كثير ٣/ ٤٠٥ دار المعرفة الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ.
(٦) سورة القصص الآيات من ٥٢ إلى ٥٥.

وبعث الله تعالى أخيراً خاتم الانبياء والمرسلين محمد بن عبد الله ﷺ بالحنيفية السمحة، دين الإسلام لله رب العالمين دين أبينا إبراهيم عليه السلام، واصطفاه تعالى بالصورة الكاملة من الحنيفية السمحة.

والله تعالى جعل من دين الرسل أن أولهم يبشر بآخرهم ويؤمن به، وآخرهم يصدق بأولهم ويؤمن به. قال الله تعالى: ﴿**وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتابٍ وحكمة ثم جاءكم رسولٌ مصدقٌ لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه. قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى**[١] **قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين**﴾[٢] قال ابن عباس: لم يبعث الله نبياً إلا أخذ عليه الميثاق لئن بُعِث محمدٌ وهو حيٌّ ليؤمنن به ولينصرنه، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمدٌ وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه[٣]. وقد بشر كلٌّ من موسى عليه السلام فى التوراة وعيسى عليه السلام فى الانجيل بمحمد بن عبد الله ﷺ. قال تعالى: ﴿**ورحمتى وسعت كل شيءٍ فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون. الذين يتبعون الرسول النبى الامى الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم. فالذين آمنوا به وعزروه**[٤] **ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون**﴾[٥].

ولما كان الله تعالى قد بعث محمد بن عبد الله ﷺ بالصورة الكاملة من الحنيفية السمحة دين أبينا إبراهيم عليه السلام فقد توالت الاشارات فى القرآن الكريم الى هذه الحنيفية السمحة والاشادة بها والحث على اتباعها. جاء فى سورة النحل أمر المصطفى ﷺ باتباع ملة إبراهيم عليه السلام حنيفاً ومائلاً قصداً عن كل شرك، ومنحرفاً عنه إلى توحيد الله تعالى وإفراده جل وعلا بالعبادة قال تعالى: ﴿**إنّ إبراهيم كان أمةً قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين. شاكراً لانعمه اجتباه وهداه إلى صراطٍ مستقيم. وآتيناه فى الدنيا حسنةً وإنه فى الآخرة لمن الصالحين. ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً**

---

(١) إصري بمعنى عهدي. تفسير ابن كثير ١/ ٣٧٨.
(٢) سورة آل عمران الآية ٨١.
(٣) الرسالة التدمرية لابن تيمية ٥٤ وهداية الحيارى لابن القيم ٥١.
(٤) عزروه بمعنى وقروه.
(٥) سورة الأعراف الآية ١٥٦ و ١٥٧.

وما كان من المشركين﴾[١] وهذه الآية الكريمة من سورة الأنعام تصف بالصراط المستقيم دين إبراهيم عليه السلام الذى هدى الله تعالى محمد بن عبد الله ﷺ إليه. قال تعالى: ﴿قل إننى هدانى ربى إلى صراطٍ مستقيم ديناً قيماً ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين﴾[٢] ومعنى قيما: مستقيما[٣] وإذا كانت سورة الحج تتحدث عن الحج على عهد إبراهيم عليه السلام، وكنا نحن المسلمين قد أمِرْنا بأن نأخذ مناسكنا فى الحج عن محمد بن عبد الله ﷺ الذى حج كما حج إبراهيم عليه السلام على النحو الذى بينته سورة الحج وغيرها من الوحى قرآناً كريماً وسنةً نبويةً مطهرة، فإن سورة الحج المدنية تحث المسلمين فى آخرها على اتباع ملة إبراهيم عليه السلام وتشير إلى فضل الله تعالى على أمة محمد بن عبد الله ﷺ بأن سماهم جل وعلا المسلمين من قبل نزول القرآن الكريم. قال تعالى: ﴿وجاهدوا فى الله حق جهاده. هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرجٍ ملة أبيكم إبراهيم. هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير﴾[٤].

وإن رسالة الإسلام الخاتمة، التى بعث الله بها محمد بن عبد الله ﷺ، تنفرد بين رسالات كل الانبياء السابقين بأنها عالميةٌ منذ فجرها. ثبت فى الصحيحين من حديث جابر بن عبد الله أنه قال: قال رسول الله ﷺ: أعطيت خمساً لم يعطهن أحدٌ من الانبياء قبلى. نُصِرْت بالرعب مسيرة شهر. وجعلت لى الارض مسجداً وطهوراً، فأيُّما رجلٍ من أمتى أدركته الصلاة فليصل. وأحلت لى الغنائم ولم تحل لاحدٍ قبلى. وأعطيت الشفاعة. وكان النبى يبعث إلى قومه وبعثت إلى الناس عامة[٥] قال تعالى: ﴿تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا﴾[٦] وقال تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا كافةً للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾[٧] وقال تعالى: ﴿قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً الذى له ملك السماوات والارض لا إله إلا هو يحيى

(١) سورة النحل الآيات من ١٢٠ إلى ١٢٣.
(٢) سورة الأنعام الآية ١٦١.
(٣) تفسير الطبري ٨/ ٨٢.
(٤) سورة الحج الآية ٧٨.
(٥) تفسير ابن كثير ٢/ ٦٦ دار المعرفة.
(٦) سورة الفرقان الآية ١.
(٧) سورة سبأ الآية ٢٨.

ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبى الامى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون﴾[١].

وإن دين الإسلام الذى بعث الله تعالى به محمد بن عبد الله ﷺ هو الدين الذى لا يقبل الله تعالى من أىٍّ عبدٍ من عباده ديناً سواه لانه الدين الناسخ لسائر الاديان، السماوية منها ومن باب الاولى غير السماوية، وهو الدين الذى أكمله الله تعالى ورضيه لعباده وأتم به النعمة عليهم، وهو الدين الذى تكفل الله تعالى بإظهاره على الدين كله. وإليك هذه الآيات الكريمات فى هذه المعانى: قال تعالى[٢]: ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ وقال تعالى[٣]: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين﴾ وقال تعالى[٤]: ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمةٍ سواءٍ بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾ وقال تعالى[٥]: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا﴾ وقال تعالى[٦]: ﴿هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾ وقال تعالى[٧]: ﴿هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً﴾.

جعل الله لكل أمةٍ شريعةً ومنهاجا.

إن الله سبحانه وتعالى الذى له الحكمة البالغة والحجة الدامغة لو شاء لجعل الناس جميعاً أمةً واحدةً أتباع نبى واحد وكتابٍ سماوى واحد ولكنه جل وعلا لم يشأ ذلك. وإلى ذلك الاختلاف بين الامم والحكمة منه أشار قوله تعالى من سورة هود[٨]: ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمةً واحدةً ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك. ولذلك خلقهم. وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجِنة والناس أجمعين﴾. وأيضاً أشار إلى ذلك قوله تعالى من سورة المائدة[٩]: ﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه

(١) سورة الاعراف الآية ١٥٨.
(٢) سورة آل عمران الآية ١٩.
(٣) سورة آل عمران الآية ٨٥.
(٤) سورة آل عمران الآية ٦٤.
(٥) سورة المائدة الآية ٣.
(٦) سورة التوبة الآية ٣٣ وسورة الصف الآية ٩.
(٧) سورة الفتح الآية ٢٨.
(٨) سورة هود الآية ١١٨، ١١٩.
(٩) سورة المائدة الآية ٤٨.

من الكتاب ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق. لكلٍ جعلنا منكم شِرعةً ومنهاجا. ولو شاء الله لجعلكم أمةً واحدةً ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات. إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾. إن الآية الكريمة تخاطب المصطفى ﷺ وتقول له: إنا أنزلنا إليك الكتاب العزيز والقرآن الكريم بالحق وبالصدق الذى لاريب فيه انه من عند الله[١] مصدقاً لما بين يديه من الكتب المتقدمة المتضمنة ذكره ومدحه وأنه سينزل من عند الله على عبده ورسوله محمد ﷺ[٢] ومهيمناً على الكتب السابقة شهيداً على الكتب قبله أنها حق من عند الله أميناً عليها حافظاً لها[٣] فاحكم أيها الرسول الكريم والنبى العظيم بينهم بما أنزل الله تعالى إليك ولا تتبع أهواءهم عادلاً ومُعرضاً ومنصرفاً عما جاءك من الحق من ربك. لكل أمةٍ منكم جعلنا شِرعةً وطريقاً إلى الحق تشرع فيه ومنهاجاً وسبيلاً بيناً واضحاً تسلكه فى سبيل الوصول إلى الغاية من شروعها فى أول طريق الحق وسلوكها فى نهج الصراط المستقيم. أما هذه الغاية فهى توحيد الله تعالى وإفراده جل وعلا بالعبادة. إن الله سبحانه وتعالى لو شاء لجعلكم أمةً واحدةً أتباع رسولٍ كريم واحد وكتابٍ عظيم واحد وعلى شريعةٍ واحدة، ولكنه جل وعلا جعلكم أمماً ليختبركم فيما آتاكم، وليعلم جل وعلا علم ظهورٍ من يطيعه ومن يعصيه. إن عليكم أن تستبقوا الخيرات بفعل الاوامر واجتناب النواهى. إلى الله تعالى مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون من أمر الدين ويجزى كلاً بعمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

وهكذا يتبين أن الغاية من إرسال الرسل وبعث النبيين واحدة هى توحيد الله تعالى وإفراده جل وعلا بالعبادة. قال تعالى[٤]: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسولٍ إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ أما سبل الرسل من أجل الوصول إلى هذه الغاية فمتعددة ومختلفة وهى التى عبر عنها بالقول: ﴿لكلٍ جعلنا منكم شرعةً ومنهاجا﴾ والشِّرعة والشريعة فى المحسوسات الطريق الموصل الى الماء، والماء ذاته الذى يقصده الشارع والقاصد، شريطة أن يكون الماء دائماً غير منقطع، غزيراً قريب التناول عذباً نميرا. إن هذه المعانى فى المحسوسات اتسمت بها الشرعة والشريعة فى المعنويات. وإذا

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ٦٥.
(٢) تفسير ابن كثير ٢/ ٦٥.
(٣) تفسير الطبرى ٦/ ١٧٢.
(٤) سورة الانبياء الآية ٢٥.

كانت لفظة شرعة قد جاءت هنا فإن لفظة شريعة جاءت فى سورة الجاثية. قال تعالى[١]: ﴿**ثم جعلناك على شريعةٍ من الامر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون**﴾ والمنهاج وكذلك المنهج فى المحسوسات الطريق الواضح البيّن المستقيم الذى لا عوج فيه[٢] إنّ هذه المعانى فى المحسوسات اتسم بها المنهج والمنهاج فى المعنويات.

وإن شرائع النبيين المتعددة ومناهجهم المختلفة من أجل الوصول إلى غايةٍ واحدة هى توحيد الله تعالى قد قرّرها الحديث الشريف الذى ثبت فى البخارى عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: **نحن معاشر الانبياء إخوةٌ لعَلاّت**[٣] **ديننا واحد**. يعنى بذلك التوحيد الذى بعث الله به كل رسولٍ أرسله وضمنه كل كتابٍ أنزله[٤] ويستمر الحديث الشريف فى القول: **وإن أَوْلى الناس بابن مريم لأنا، إنه ليس بينى وبينه نبى**[٥].

وهكذا يتبين أن شرائع النبيين متعددة أما دينهم فواحد وهو دين الاسلام ابتداءً بنوح عليه السلام أول رسل الله تعالى الذى جرى على لسانه خطاباً لقومه القول[٦]: ﴿**فإن توليتم فما سألتكم من أجرٍ إن أجرى إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين**﴾ وانتهاءً بمحمد بن عبد الله ﷺ، خاتم النبيين وأشرف المرسلين الذى أمره الله تعالى فى سورة الانعام بقوله عز من قائل[٧]: ﴿**قل إننى هدانى ربى إلى صراطٍ مستقيم ديناً قيماً ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين. قل إن صلاتى ونُسُكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أُمِرْت وأنا أول المسلمين**﴾.

الرسالة الخاتمة تلائم الأمة المسلمة:

ونحن من جانبنا لو تمثلنا الإنسانية منذ أن خلق الله تعالى آدم عليه السلام وأمره هو وزوجه حواء عليها السلام بالهبوط إلى الأرض إلى أن بعث الله تعالى خاتم النبيين وأشرف المرسلين محمد بن عبد الله ﷺ، لو تمثلنا الإنسانية فى هيئة شخصٍ يمر خلال سنى حياته بمراحل من العمر مختلفة حتى يصل إلى مرحلة الرشد والأشد، لوقفنا عند ثلاث مراحل:

---

(١) سورة الجاثية الآية ١٨.
(٢) انظر مقاييس اللغة لابن فارس: «نهج» ٥/ ٣٦ ومفردات الراغب الأصفهانى: «نهج» ٥٠٦ ولسان العرب: «نهج».
(٣) الإخوة لعَلات بفتح العين هم الإخوة من أبٍ واحدٍ وأمهاتٍ شتى.
(٤) تفسير ابن كثير ٢/ ٦٦.
(٥) الرسالة التدمرية لابن تيمية ٥٣.
(٦) سورة يونس الآية ٧٢.
(٧) سورة الانعام الآيات من ١٦١ - ١٦٣.

فى المرحلة الأولى نستطيع أن نتمثل الإنسانية ابتداءً فى هيئة الطفل الذى يحبو فى مهده، والذى يحول الضعف بينه وبين القيام وجهده، والعدو وشدّه. ويصح أن نذهب إلى أن هذه المرحلة من عمر الإنسانية، وهى مرحلة الطفولة، يلائمها صوارم الاوامر وقوارع الزواجر. ويصح أن نذهب إلى أن مرحلة الطفولة هذه يمثل بنو إسرائيل أتباع موسى عليه السلام قمتها ونهايتها. إن بنى إسرائيل هم الذين يجىء عنهم فى القرآن الكريم قوله عز من قائل فى سورة الأعراف[١]: ﴿**وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنّه ظُلّةٌ وظنوا أنه واقعٌ بهم خذوا ما آتيناكم بقوةٍ واذكروا ما فيه لعلكم تتقون**﴾ والمعنى: واذكر يامحمد إذ اقتلعنا الجبل فوق بنى إسرائيل[٢] وهو جبل الطور[٣] كأنه ظلة، وهى ما أظلك من سقيفةٍ أو سحاب[٤] وأيقنوا أن الجبل ساقطٌ عليهم بوعد الله إياهم بوقوعه إن لم يقبلوا أحكام التوراة وكانوا أبوها لثقلها فقبلوا[٥] وقلنا لهم خذوا ما آتيناكم بجدٍ واجتهاد، واذكروا ما فى الكتاب السماوى بالعمل به لعلكم تتقون النار التى وقودها الناس والحجارة، بمعنى الاصنام، والتى أعدها الله تعالى للكافرين. إن بنى إسرائيل حينما أمرهم موسى بالعمل بالتوراة قالوا سمعنا وعصينا، والمعنى: سمعنا قولك وعصينا أمرك[٦] وحينما أيقنوا أن جبل الطور واقعٌ عليهم قالوا سمعنا وأطعنا. جاء فى سورة البقرة[٧] قوله تعالى: ﴿**وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوةٍ واسمعوا. قالوا سمعنا وعَصَيْنا وأُشْرِبوا فى قلوبهم العجلَ بكفرهم. قل بئسما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين**﴾. عن ابن عباس: كانوا إذا نظروا إلى الجبل قالوا سمعنا وأطعنا. وإذا نظروا إلى الكتاب قالوا سمعنا وعصينا[٨] وقيل إن كل رجلٍ من بنى إسرائيل خر ساجداً على حاجبه الأيسر ونظر بعينه اليُمْنى إلى الجبل فَرَقاً من أن يسقط عليه[٩].

والمعروف أن بنى إسرائيل تحولوا بدين موسى عليه السلام وبتعاليمه الموحاة إليه

(١) سورة الأعراف الآية ١٧١.
(٢) تفسير الطبرى ٩/ ٧٤.
(٣) تفسير ابن كثير ٢/ ٢٦٠.
(٤) انظر البحر المحيط ٤/ ٤١٩، ٤٢٠.
(٥) انظر الجلالين.
(٦) الكشاف ١/ ٢٢٧.
(٧) سورة البقرة الآية ٩٣.
(٨) البحر المحيط ١/ ٣٠٨.
(٩) تفسير ابن كثير ٢/ ٢٦١.

من رب العالمين إلى مادية جشعة فكانوا يأكلون السحت من رباً ورشاً وما إليهما حتى قال الحق جل وعلا عنهم فى محكم التنزيل[١]: ﴿**ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوةً. وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار. وإن منها لما يَشَّقَّق فيخرجُ منه الماء. وإن منها لما يهبط من خشية الله. وما الله بغافلٍ عما تعملون**﴾.

وتجاوزت الإنسانية مرحلة المهد، ونما عودها واشتد، وكأنها بلغت من العمر مرحلة الغلام الذى بلغ من والده مرحلة السعى والشد، والذى يناسبه الجانب الناعم من الحياة، ويوافقه الشطر الرقيق من التعاليم، وكأن هذه المرحلة تتمثل فى إرسال الله تعالى عيسى ابن مريم عليه السلام آخر أنبياء بنى إسرائيل. وفى مقابل انحراف بنى إسرائيل بتعاليم موسى عليه السلام إلى ماديةٍ خالصة، ودنيويةٍ صرفة، كان عيسى عليه السلام متخصصاً فى الروحانيات. ومازال أصحاب المسيح بعده على ذلك قريباً من ثلاثمائة سنة، ثم أخذ القوم فى التغيير والتبديل والتقرب إلى الناس بما يهوون[٢].

ولما كان المسيح عليه السلام متخصصاً فى الروحانيات وكانت الحياة روحاً ومادة فإن أتباع المسيح عليه السلام ما لبثوا أن خرجوا فى مجموعهم على تلك الروحانيات وانهمكوا فى الماديات، شأنهم فى ذلك شأن اليهود وسائر الناس آنذاك. أما المستمسكون بروحانيات السيد المسيح عليه السلام فإنهم تحولوا بها إلى رهبانيةٍ خالصةٍ لا شأن لها بأمور الحياة. وهكذا يتبين أن الخارجين على تعاليم السيد المسيح عليه السلام قد تحولوا بها إلى ماديةٍ صارخة، وأن المستمسكين بتعاليمه عليه السلام وهم قلة، قد تحولوا بتلك التعاليم من كونها روحانية خالصة إلى رهبانيةٍ مبتدعة وسلبيةٍ يائسة. وعموماً فإن الاخيرين خيرٌ من الاولين يقول ابن القيم[٣] فى هذا الشأن: «وقد نظر الله إلى أهل الارض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب».

ثم بلغت الانسانية مرحلة الرشد التى تناسبها الرسالة السماوية العالمية الخاتمة، والرسول النبى الخاتم، والكتاب السماوى الخاتم، والكلمة السماوية الاخيرة إلى البشرية، فكان دين الإسلام الذى بعث الله تعالى به محمد بن عبد الله ﷺ. لقد نسخ

---

(١) سورة البقرة الآية ٧٤.

(٢) هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى لابن القيم ١٤٢.

(٣) هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى ٩ وانظر ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ٢٧ وانظر الآية ٢٧ من سورة الحديد. وهذا الذى ذكره ابن القيم جزءٌ من حديث. انظر صحيح مسلم بشرح الإمام النّووىّ ١٧/ ١٩٧.

الدين الذى بعث الله تعالى به محمد بن عبد الله ﷺ كل دينٍ سماوى ومن باب الاولى غير السماوى، كما هيمن كتابه السماوى الذى أوحاه الله تعالى إليه على كل كتابٍ سماوىٍ سابق، فهو الحافظ لتلك الكتب، الامين عليها، الشهيد على أنها موحىً بها من الله تعالى. لننظر إلى لفظة الرشد التى جاءت دليلاً على دين الإسلام الذى بعث الله تعالى به محمد بن عبد الله ﷺ، وعلى مرحلة الرشد التى بلغتها الانسانية باعتبارها قادرةً على أن تتبين الرشد من الغى، وتميز الايمان من الكفر[١] وذلك فى قوله تعالى[٢]: ﴿**لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى. فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها. والله سميعٌ عليم**﴾[٣].

حال الإنسانية قبيل البعثة المحمدية:

ونحن إذا نظرنا إلى العالم فى القرنين السادس والسابع الميلاديين تبيّنّا أن هذا العالم قد انحط إلى الدرك الأسفل بلا خلاف[٤] أما اليهود فبسبب الاضطهاد الذى حل بهم فى كل مكان، باستثناء جزيرة العرب، قد ورثوا أسوأ الخصال وتأصلت فيهم أردأ الخلال. وقد وصفهم القرآن الكريم وصفاً دقيقاً عميقاً يصور ما كانوا عليه فى القرنين السادس والسابع من تدهورٍ خلقى، وانحطاط نفسى، وفسادٍ اجتماعى[٥] وقد اقتبس اليهود كثيراً من عقائد الامم التى جاوروها أو وقعوا تحت سيطرتها، وكثيراً من عاداتها وتقاليدها الوثنية الجاهلية[٦] قال تعالى[٧]: ﴿**وقالت اليهود عزيزٌ ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون**﴾ إن اليهود والنصارى بسبب هذا القول يشابهون الذين كفروا من قبل من الآباء المشركين الذين قالوا بهذا القول ومن سواهم.

أما المسيحيون فإن كل فرقةٍ من فرق النصارى تقول للاخرى إنها ليست على شىء[٨] قال تعالى[٩]: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلوا أموال**

(١) الكشاف ١/ ٢٩٣.
(٢) سورة البقرة الآية ٢٥٦.
(٣) انظر هنا رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده ١٦٧ فما بعدها، الفصل الخاص بترقى الاديان بترقى الانسان وإكمالها بالاسلام. القاهرة الطبعة السابعة عشرة ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م.
(٤) انظر ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين (٢٩).
(٥) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ٣٥.
(٦) السيرة النبوية لأبى الحسن الندوى ١.
(٧) سورة التوبة الآية ٣٠.
(٨) ماذا خسر العالم ٢٩.
(٩) سورة التوبة الآية ٣٤.

الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله﴾ وإذا كان فريقٌ من رجال الدين قد انسحب من ميدان الحياة فإن من بقى منهم فى تيار الحياة اصطلح مع الظالمين وتقاسم معهم الغنائم والمظالم[١] وقال تعالى[٢]: ﴿**لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم**﴾ وقال تعالى[٣]: ﴿**لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة. وما من إلهٍ إلا إلهٌ واحد. وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذابٌ أليم. أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفورٌ رحيم. ما المسيح ابن مريم إلا رسولٌ قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقةٌ كانا يأكلان الطعام. انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون. قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضَرّاً ولا نفعاً والله هو السميع العليم. قل يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قومٍ قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل**﴾.

فإذا تحولنا إلى أوربا تبينا أنه لم تكن فى أوربا الغربية فى ذلك العهد أمارات الوحدة والنظام[٤].

فإذا اتجهنا إلى فارس تبينا أنها كانت آنذاك الحقل القديم لنشاط كبار الهدامين الذين عرفهم العالم حتى إن يزدجرد الثانى الذى حكم فى أواسط القرن الخامس الميلادى تزوج بنته ثم قتلها، وإن بهرام جوبين الذى تملك فى القرن السادس كان متزوجاً بأخته[٥] وكان الايرانيون يتزوجون من غير استثناء[٦] وكانوا مجوساً عرفوا من قديم الزمان بعبادة العناصر الطبيعية وأعظمها النار التى عكفوا على عبادتها أخيرا. وقد انقرضت كل عقيدةٍ وديانة غير عبادة النار وتقديس الشمس[٧].

فإذا اتجهنا الى الهند تبيّنّا أن الوثنية قد بلغت أوجها فى القرن السادس وبلغ عدد الاصنام ثلاثمائة وثلاثين مليون صنم[٨] وعن الشهوة الجنسية ونظام الطبقات الجائر فى الهند حدث ولا حرج[٩].

---

(١) انظر ماذا خسر العالم ٢٧.
(٢) سورة المائدة الآية ١٧ و٧٢.
(٣) سورة المائدة الآيات ٧٣ - ٧٧.
(٤) ماذا خسر العالم ٣٤.
(٥) ماذا خسر العالم ٣٧.
(٦) ماذا خسر العالم ٣٨.
(٧) السيرة النبوية لابى الحسن الندوى ٤.
(٨) ماذا خسر العالم ٤٦ والسيرة النبوية لابى الحسن الندوى ٦.
(٩) انظر ماذا خسر العالم ٤٦ - ٥٠.

فإذا اتجهنا إلى الصين التى كانت البوذية فيها وفى الهند كذلك تبينا أن الديانة البوذية قد فاقت الديانة الهندكية فى الإغراق فى الوثنية.

فإذا تحولنا إلى اليهودية والنصرانية فى بلاد العرب تبينا أنهما كانت نسختين من اليهودية فى الشام والنصرانية فى بلاد الروم والشام[١].

فإذا تحولنا إلى العرب فى جزيرة العرب تبينا أنهم غارقون حتى آذانهم فى الوثنية وفى عبادة الاصنام ويكفى أن يقال إنه كان فى جوف الكعبة، البيت الذى بناه إبراهيم عليه السلام لعبادة الله وحده وفى فنائها ثلاثمائة وستون صنما[٢] عن عبد الله رضى الله عنه قال: دخل النبى ﷺ مكة يوم الفتح وحول البيت ستون وثلاثمائة نُصُب فجعل يطعنها بعودٍ فى يده ويقول: **جاء الحق وزهق الباطل، جاء الحق وما يُبْدِىء الباطل ومايُعيد**[٣].

وبالجملة لم تكن على ظهر الارض أمةٌ صالحة المزاج، ولا مجتمع قائم على أساس الاخلاق والفضيلة، ولا حكومة مؤسسة على أساس العدل والرّحمة، ولا قيادة مبنيّة على العلم والحكمة، ولا دين صحيح مأثور عن الانبياء[٤].

جاء فى القرآن الكريم خطاباً للمصطفى ﷺ قول الحق جل وعلا[٥]: ﴿**وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين**﴾.

ولعل فيما سبق تبييناً لاسباب ظهور الاسلام بمعناه الخاص.

---

(١) ماذا خسر العالم ٥٤.
(٢) السيرة النبوية لأبى الحسن الندوى ٨.
(٣) صحيح البخارى ٥/ ١٨٨.
(٤) ماذا خسر العالم ٦٠.
(٥) سورة الانبياء الآية ١٠٧.

سؤال رقم

٢

اذكر ثلاث نقاط تميّز
الإسلام عن النصرانية

نود أن نشير بإيجازٍ أولاً إلى النقاط الثلاث المطلوبة التى تميز الاسلام عن النصرانية، إنها.

١- توحيد الله تعالى وإفراده جل وعلا بالعبادة.

٢- كل رسل الله تعالى عبيدٌ له جل وعلا ابتداءً بنوحٍ عليه السلام، وانتهاءً بمحمد بن عبد الله ﷺ، ومروراً بعيسى ابن مريم عليه السلام.

٣- أكرم الناس عند الله تعالى أتقاهم له جل وعلا.

وبعد هذه الإشارة الموجزة إلى النقاط الثلاث نتبعها بشيءٍ من بسط القول:

توحيد الله تعالى:

إن أول ما يميز الإسلام وإن أهم ما يميز الإسلام عن غيره من الديانات النصرانية وغيرها توحيد الله تعالى وإفراده جل وعلا بالعبادة وما أكثر الآيات القرآنية الكريمة التى أكدت هذا المعنى. بل إن القرآن الكريم إذا كان يدور حول ثلاثة محاور، توحيد وقصص وأحكام[١] وكان محور التوحيد هو أكبر هذه المحاور الثلاثة فإن كلاً من المحورين الآخرين خادمٌ لقضية التوحيد وبخاصةٍ محور القصص. وبسبب كثرة الآيات القرآنية التى تقرر وحدانية الله تعالى وتؤكدها نكتفى ببعض النماذج.

إن من أقرب النماذج وأوضحها سورة الاخلاص بمعنى التوحيد وإفراد الله تعالى بالعبادة. قال تعالى: ﴿**قل هو الله أحد. الله الصمد. لم يلد ولم يولد ولك يكن له كفواً أحد**﴾.

إن الله سبحانه وتعالى يأمر المصطفى ﷺ الذى سُئل عن ربه جل وعلا أن يقول: **هو الله تعالى الواحد الاحد الفرد الصَّمد المقصود فى كل الحوائج على الدوام لم يلد ولم يولد ولم يكن له أحدٌ مكافئاً ولا مماثلا.**

وجاء فى سورة آل عمران[٢] فى قضية التوحيد قوله تعالى: ﴿**شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم. إن الدين عند الله**

(١) انظر هنا: الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لابن تيمية ٩.
(٢) سورة آل عمران الآيات من ١٨ - ٢٠.

الاسلام. وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم. ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب. فإن حاجوك فقل أسلمت وجهى لله ومن اتبعن. وقل للذين أوتوا الكتاب والامين أأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصيرٌ بالعباد﴾.

إن الله سبحانه وتعالى يشهد، وكفى بالله شهيدا، أنه لا إله إلا هو ولا معبود بحقٍ إلا هو جل وعلا وحده لا شريك له، وكذلك يشهد الملائكة المقربون الذين لا يعصون الله تعالى ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ويشهد أولو العلم الصحيح النافع الراسخون فيه. والله سبحانه وتعالى هو القائم بالعدل القائل بالحق الشاهد بالقسط الذى يلى العدل بين خلقه[١] لا إله إلا هو العزيز فى ملكه الحكيم فى صنعه. إن الدين المتقبّل عند الله تعالى هو الإسلام، بمعنى الاستسلام لله تعالى بالخضوع، والانقياد له جل وعلا بالطاعة، والخلوص من الشرك. وما اختلف الذين أوتوا الكتاب من يهود ونصارى إلا من بعد ما جاءهم العلم الصحيح فى قضية التوحيد، وما اختلفوا لأن ثمة سبباً موجباً للاختلاف، إنما اختلفوا بسبب ظلم بعضهم بعضاً، وبغى بعضهم على بعض. إن الله سبحانه وتعالى سريع المحاسبة لمن يكفر بآياته جل وعلا البينات. فإن حاجك أهل الكتاب وسواهم وخاصموك أيها الرسول الكريم والنبى العظيم فى القول: ﴿**إن الدين عند الله الاسلام**﴾ فقل لهم أسلمت وجهى لله تعالى وأسلم من اتبعنى بتوحيد الله تعالى وإفراده جل وعلا بالعبادة والخلوص من الشرك. وقل أيها الرسول الكريم والنبى العظيم لأهل الكتاب من يهود ونصارى وللأميين الذين لم يصطفهم الله تعالى بكتابٍ سماوى: أسلموا لله رب العالمين. فإن أسلموا بأن شهدوا ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فقد اهتدوا إلى الصراط المستقيم، وإن تولوا وانصرفوا فإنما عليك أيها الرسول الكريم البلاغ وحده. والله سبحانه وتعالى هو البصير بالعباد. عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: **والذى نفسى بيده لا يسمع بى أحدٌ من هذه الامة يهودى ولا نصرانى ومات ولم يؤمن بالذى أرسلت به إلا كان من أهل النار**. رواه مسلم[٢].

وإن العلم بأن الله تعالى واحدٌ أحد فردٌ صمد يسبق العمل. جاء فى سورة محمد[٣] عليه الصلاة والسلام قوله تعالى: ﴿**فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك**

(١) انظر تفسير الطبرى ٣/ ١٤٠.
(٢) تفسير ابن كثير ١/ ٣٥٤.
(٣) سورة محمد الآية ١٩.

وللمؤمنين والمؤمنات. والله يعلم متقلبكم ومثواكم﴾ عن سفيان بن عيينة أنه سئل عن فضل العلم فقال: ألم تسمع قوله حين بدأ به: فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك، فأمر بالعمل بعد العلم[١] والامام البخارى فى كتاب العلم من صحيحه[٢] الذى هو أصح الكتب بعد القرآن الكريم عقد باباً[٣] عنوانه: بابٌ: العلم قبل القول والعمل لقول الله تعالى: فاعلم أنه لا إله إلا الله. فبدأ بالعلم.

والمعروف أن أول أركان الاسلام شهادة ألا إله إلا اللهوأن محمداً رسول الله. فشهادة ألا إله إلا الله وأن محمدّاً رسول الله وجهان لركنٍ واحدٍ من أركان الاسلام الخمسة وهى أول أركان الاسلام وأهمها.

والمعروف كذلك أن الاشراك مع الله تعالى سواه هو الذنب الوحيد الذى لا يغفره الله تعالى. قال عز من قائل[٤]: ﴿**إن الله لا يغفر أن يُشْرَكَ به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء. ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيما**﴾ وقال تعالى[٥]: ﴿**إن الله لا يغفر أن يُشْرَكَ به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء. ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالاً بعيدا**﴾ وقال تعالى[٦]: ﴿**وقَدِمنا إلى ما عملوا من عملٍ فجعلناه هباءً منثورا**﴾ إن كل الاعمال الصالحة باطلة بسبب الشرك. والهباء عبارةٌ عما يخرج من الكوة مع ضوء الشمس شبيه بالغبار. وإذا كان الهباء المنتظم لا قيمة له فكيف به وقد عبث الهواء؟ لاشك أنه أقل قيمة. وهذا هو معنى القول: ﴿**منثورا**﴾ فى الآية الكريمة[٧].

كل رسل الله تعالى عبيدٌ له جل وعلا:

إن كل رسل الله تعالى عبيدٌ لله تعالى وعبادٌ له، لانهم المصطفون الاخيار. وقد قال تعالى[٨]: ﴿**الله أعلم حيث يجعل رسالته**﴾ وقال تعالى[٩]: ﴿**ما كان لبشرٍ أن يؤتيه الله الكتاب والحُكْمَ والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لى من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما**

(١) تفسير القرطبى ٦٠٦٢.
(٢) صحيح البخارى ١/ ٢٢ وانظر دراستنا للآية الكريمة فى الدراسة بعنوان: تأملات فى سورة محمد ﷺ ١٥٦.
(٣) صحيح البخارى ١/ ٢٦.
(٤) سورة النساء الآية ٤٨.
(٥) سورة النساء الآية ١١٦.
(٦) سورة الفرقان الآية ٢٣.
(٧) تأملات فى سورة الفرقان، للمؤلف، ٨٣.
(٨) سورة الانعام الآية ١٢٤.
(٩) سورة آل عمران الآية ٧٩.

كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تَدْرُسون﴾. إن الآية الكريمة تبين أنه لا ينبغى ولا يصح لبشرٍ اصطفاه الله تعالى بالكتاب السماوى الموحى به إليه، وخصه جل وعلا بالفقه فى دينه وفصل الخطاب، وأنعم عليه بنعمة النبوة التى هى محض فضلٍ من الله تعالى ثم يقول بعد ذلك للناس اعبدونى من دون الله تعالى، ولكن يقول لهم كونوا علماء حكماء حلماء فقهاء عاملين بما علمكم الله تعالى معلمين الناس النافع من العلم مرشديهم إلى الخير من العمل، لان الله سبحانه وتعالى اصطفى هؤلاء الأتباع بكونهم يعلّمون الناس معانى الكتاب السماوى وبكونهم طلاّب علم يدرسونه ويتأملونه ويتفقهون فيه.

ومن ألطف ما يشار إليه فى هذه المسألة أن محمد بن عبد الله ﷺ ينص القرآن الكريم على أنه عبد الله فى أشرف الاحوال وأعظم المناسبات. إن النبى ﷺ حينما قام يعبد الله تعالى ويصلى ببطن نخلة، وادٍ بين مكة والطائف، وركب بعض الجن بعضاً ازدحاماً حرصاً على سماع القرآن الكريم حتى صاروا كأنهم اللِّبد جمع لِبدة بكسر اللام ولُبْدة بضم اللام وهى الشعر المجتمع بين كتفى الاسد، إن النبى ﷺ حينما قام يعبد الله تعالى أشار القرآن الكريم إليه بأنه عبد الله. قال تعالى[1]: ﴿**وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا**﴾ وقد أشار القرآن الكريم إلى المصطفى ﷺ بأنه عبد الله فى أولى آيات سورة الإسراء التى تحدثت عن الإسراء به ﷺ ليلاً من المسجد الحرام فى مكة المكرمة إلى المسجد الاقصى فى القدس الشريف. قال تعالى: ﴿**سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير**﴾ كما أشار القرآن الكريم إلى المصطفى ﷺ بأنه عبد الله فى أولى آيات سورة الفرقان وذلك فى معرض المن من الله تعالى عليه ﷺ بإنزال القرآن الكريم عليه. قال تعالى: ﴿**تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا**﴾.

وإن أول ما جرى على لسان عيسى عليه السلام، الذى تكلم فى المهد، أنه عبد الله. قال تعالى[2]: ﴿**واذكر فى الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً. فاتخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سويا. قالت إنى أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا. قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكيا. قالت أنّى يكون لى غلامٌ ولم يمسسنى بشرٌ ولم أك بغيا. قال كذلك قال ربك هو علىّ هينٌ ولنجعله**

(١) سورة الجن الآية ١٩.
(٢) سورة مريم الآيات من ١٦ - ٤٠.

آيةً للناس ورحمةً منا. وكان أمراً مقضيّا. فحملته فانتبذت به مكاناً قصيّا. فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت ياليتنى مِتُّ قبل هذا وكنت نسياً منسيّا. فناداها مِنْ تحتها ألا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريّا. وهزى إليك بجذع النخلة تُساقِط عليك رُطَباً جنيّا. فكُلى واشربى وقَرى عيناً فإما تَرَينَّ من البشر أحداً فقولى إنى نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسيّا. فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئاً فريّا. يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سَوْءٍ وما كانت أمك بغيّا. فأشارت إليه. قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيّا. قال إنى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيّا. وجعلنى مباركاً أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيّا. وبرّاً بوالدتى ولم يجعلنى جباراً شقيّا. والسلام علىّ يوم وُلِدْت ويوم أموت ويوم أُبْعَثُ حيّا﴾.

وقد نعى القرآن الكريم فى العديد من المواضع على غلاة النصارى غلوهم فى عيسى ابن مريم عليه السلام، ومن ذلك هذه الآيات الكريمات من سورة مريم[1] قال تعالى: ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولدا. لقد جئتم شيئاً إدّا. تكاد السماوات يتفطّرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا. أن دَعَوا للرحمن ولدا. وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا. إن كل من فى السماوات والارض إلا آتى الرحمن عبدا. لقد أحصاهم وعدّهم عدا. وكلهم آتيه يوم القيامة فردا﴾ ويبين القرآن الكريم أن رب العزة الذى أحاط بكل شىءٍ علماً ومن ذلك العلم بكل ما قال عيسى ابن مريم وفعل، بل وأضمر فى نفسه ونوى، سوف يَسْأَلُ عيسى عليه السلام يوم القيامة عن غلو أتباعه فيه عليه الصلاة والسلام. وفى ذلك اليوم تثبت براءته عليه السلام على رءوس الاشهاد. قال تعالى[2]: ﴿وإذْ قال الله ياعيسى ابن مريم أأنت قُلْتَ للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله. قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق. إن كنت قلتُه فقد علمتَه. تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك إنك أنت علام الغيوب. ما قلتُ لهم إلا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم. وكنتُ عليهم شهيداً مادمتُ فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم. وأنت على كل شىءٍ شهيد. إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم﴾.

---

(١) سورة مريم الآيات من ٨٨ - ٩٥.

(٢) سورة المائدة الآيات من ١١٦ - ١١٨.

أكرم الناس عند الله تعالى أتقاهم له جل وعلا:

جاء فى سورة الحجرات[١] قوله تعالى: ﴿**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا. إن أكرمكم عند الله أتقاكم. إن الله عليمٌ خبير**﴾ إنّ رب العزة ينادى كلّ الناس بأنه جل وعلا خلقهم من ذكرٍ وأنثى هما آدم وحواء عليهما السلام[٢] وجعلهم جل وعلا شعوباً وقبائل ليتعارفوا أى ليحصل التعارف بينهم كلٌّ يرجع إلى قبيلته[٣] وليس من أجل أن يتفاخروا. إن أكرمهم عند الله أتقاهم وأخشاهم لله تعالى بفعل الاوامر واجتناب النواهى.

والأحاديث النبوية الشريفة التى تبين معنى الآية الكريمة وتعمقه كثيرة. روى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: سُئل رسول الله ﷺ: أى الناس أكرم؟ قال: **أكرمهم عند الله أتقاهم**. قالوا: ليس عن هذا نسألك. قال: **فأكرم الناس يوسف نبى الله ابن نبى الله ابن نبى الله ابن خليل الله**[٤] قالوا: ليس عن هذا نسألك. قال: **فعن معادن العرب تسألونى؟** قالوا: نعم. قال: **فخياركم فى الجاهلية خياركم فى الاسلام إذا فقهوا**. رواه النَّسائى[٥] وروى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**. رواه ابن ماجه[٦] ورُوى أن رسول الله ﷺ قال: **المسلمون إخوة. لا فضل لاحدٍ على أحدٍ إلا بالتقوى**[٧] وفى الترمذى عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ خطب بمكة[٨] فقال: **يا أيها الناس إن الله قد أذهب عنكم عَيْبَة الجاهلية**[٩] **وتعاظمها بآبائها. فالناس رجلان: رجلٌ تقيٌّ كريمٌ على الله، وفاجرٌ شقيٌّ هينٌ على الله. والناس بنو آدم، وخَلَق الله آدم من تراب. قال الله تعالى: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا. إن أكرمكم عند الله أتقاكم. إن الله عليمٌ خبير﴾**[١٠] وعن أبى مالك الاشعرى قال: قال رسول الله ﷺ: **إن الله لا ينظر إلى أحسابكم ولا إلى أنسابكم ولا إلى**

---

(١) سورة الحجرات الآية ١٣.
(٢) تفسير ابن كثير ٤/ ٢١٧ وتفسير القرطبى ٦١٦٠.
(٣) تفسير ابن كثير ٢/ ٢١٧.
(٤) يوسف عليه السلام هو ابن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام.
(٥) تفسير ابن كثير ٤/ ٢١٧ وتفسير القرطبى ٦١٦٦.
(٦) تفسير ابن كثير ٤/ ٢١٧.
(٧) تفسير ابن كثير ٤/ ٢١٧.
(٨) يوم فتح مكة كما جاء فى تفسير ابن كثير ٤/ ٢١٨.
(٩) العَيْبة، المرّة من عاب الشيء إذا صيره ذا عيب.
(١٠) تفسير القرطبى ٦١٦١ وتفسير ابن كثير ٤/ ٢١٧.

أجسامكم ولا إلى أموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم. فمن كان له قلبٌ صالحٌ تحنّن الله عليه. وإنما أنتم بنو آدم وأحبكم إليه أتقاكم[١] قال تعالى[٢]: ﴿يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلبٍ سليم﴾.

إن الإسلام يرفض بالكلية ما نسمع من أن بعض رجال الدين فى المسيحية يغفرون الذنوب، بل وربما قدم بعضهم صكوك الغفران. إنا نقول لهؤلاء ولأمثالهم ما جاء فى سورة آل عمران[٣]: ﴿ومن يغفر الذنوب إلا الله﴾ أى لا أحد يغفر الذنوب إلا الله تعالى[٤].

(١) تفسير القرطبى ٦١٦٢ .
(٢) سورة الشعراء الآيات ٨٨، ٨٩ .
(٣) سورة آل عمران الآية ١٣٥ .
(٤) انظر مثلاً الجلالين .

سؤال رقم

٣

مَنْ هم الذين بشّروا بمحمد « صلى الله عليه وسلم » ؟

بشر بمحمد بن عبد الله ﷺ كلٌّ من التوراة التى أوحاها الله تعالى إلى موسى عليه السلام، والإنجيل الذى أوحاه الله تعالى إلى عيسى عليه السلام. وسيكون القرآن الكريم منطلقنا ثم نتحول إلى كلٍّ من التوراة والانجيل.

بأمرٍ من الله تعالى ذهب موسى عليه السلام إلى جبل الطور ومكث هنالك أربعين ليلةً آتاه الله تعالى بعدها التوراة، وفى تلك الاثناء عبد بنو إسرائيل العجل. وبأمرٍ من الله تعالى اختار موسى عليه السلام من بين الذين لم يعبدوا العجل سبعين رجلاً وذهب بهم إلى جبل الطور كى يتوبوا إلى بارئهم جل وعلا من عبادة قومهم العجل فأخذتهم الزلزلة الشديدة، فدعا موسى عليه السلام ربه جل أن يغفر لهم ويرحمهم فكان الجواب من الله تعالى بأن رحمته الواسعة سيكتبها جل وعلا للذين يتقون ويؤتون الزكاة ويؤمنون بآيات الله تعالى ويتبعون محمد بن عبد الله ﷺ الرسول النبى الامى الذى يجده اليهود والنصارى مكتوباً عندهم فى التوراة والانجيل بنعته عليه الصلاة والسلام. وإلى هذه المعانى أشار قوله عز من قائل فى سورة الاعراف[1]: ﴿**واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياى. أتهلكنا بما فعل السفهاء مِنا. إن هى إلا فتنتك تُضِل بها من تشاء وتهدى من تشاء أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين. واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنةً وفى الآخرة إنا هدنا إليك. قال عذابى أصيب به من أشاء ورحمتى وسعت كل شىءٍ فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون. الذين يتبعون الرسول النبى الامى الذي يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويَضَعُ عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم. فالذين آمنوا به وعزروه[2] ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون**﴾ وهكذا يتبين أن كلاًّ من التوراة الموحى بها إلى موسى عليه السلام والانجيل الموحى به إلى عيسى عليه السلام قد بشر بمحمد بن عبد الله ﷺ بنص القرآن الكريم.

وفى سورة الصفّ جاءت الاشارة إلى تبشير عيسى عليه السلام بمحمد بن عبد الله ﷺ. قال تعالى[3]: ﴿**وإذ قال عيسى ابن مريم يابنى اسرائيل إنى رسول الله إليكم**

(١) سورة الأعراف الآيات من ١٥٥ - ١٥٧.
(٢) عزروه: وقروه.
(٣) سورة الصف الآية ٦.

مصدقاً لما بين يدى من التوراة ومبشراً برسولٍ يأتى من بعدى اسمه أحمد. فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحرٌ مبين﴾.

التوراة تبشر بمحمد ﷺ:

فإذا تحولنا إلى التوراة تبينا أن الإمام المهتدى السموءل بن يحيى المغربى المتوفَّى سنة ٥٧٠ هـ فى كتابه إفحام اليهود[١] قد عقد فصلاً عنوانه: ذكر الآيات والعلامات التى فى التوراة الدالة على نبوة سيدنا محمد المصطفى ﷺ[٢] وإليك بعض الاقتباسات فى هذا الشأن. يقول رحمه الله تعالى رحمة واسعة[٣]: «إنهم[٤] لا يقدرون على أن يجحدوا هذه الآية من الجزء الثانى من السفر الخامس من التوراة... نبياً أقيم لهم من وسط إخوتهم مثلك، به فليؤمنوا. وإنما أشار بهذا إلى أنهم يؤمنون بمحمد ﷺ» ويقول[٥]: «وهذا دليلٌ على أن التوراة أمرتهم فى هذا الفصل بالايمان بالمصطفى ﷺ واتّباعه» وفى كتاب هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى لابن القيم[٦] جاء الاقتباس من التوراة على هذا النحو: «سأقيم لبنى إسرائيل نبياً من إخوتهم مثلك أجعل كلامى فى فيه ويقول لهم ما آمرهم به. والذى لا يقبل قول ذلك النبى الذى يتكلم باسمى أنا أنتقم منه ومن سبطه» وقد علق ابن القيم رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً على هذا النص من التوراة بالقول[٧]: «فهذا النص مما لا يمكن أحداً منهم جحده وإنكاره» وقد فنّد السموءل رأى اليهود الذى يذهب إلى أن المراد بالآية من التوراة شموائيل النبى عليه السلام فى كتابه إفحام اليهود[٨] وفى الشق الاول من رسالته الذى ذكر فيه الرؤيا التى رأى فيها النبى شموائيل عليه السلام الذى بين للسّموءل أن المقصود بالآية من التوراة: نبياً أقيم لهم من وسط إخوتهم مثلك به فليؤمنوا، هو محمد بن عبد الله ﷺ وليس شموائيل عليه

(١) إفحام اليهود وقصة إسلام السموءل ورؤياه النبى ﷺ للامام المهتدى السموءل بن يحيى المغربى تقديم تحقيق تعليق د. محمد عبد الله الشرقاوى. طبع ونشر الرئاسة العامة لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد الرياض ١٤٠٧هـ.
(٢) إفحام اليهود ١١١ فما بعدها.
(٣) إفحام اليهود ١١١.
(٤) يعنى اليهود.
(٥) إفحام اليهود ١١٤.
(٦) هداية الحيارى ص ٥١.
(٧) هداية الحيارى ٥٢ وانظر هنالك بقية رودود ابن القيم على الصارفين لهذا النص عن معناه.
(٨) إفحام اليهود ١١١ - ١١٣.

السلام، يعنى نفسه[١].

وتحت فصلٍ عنوانه: الإشارة إلى اسمه فى التوراة يقول السموءل[٢]: «قال الله تعالى فى الجزء الثالث من السِّفر الأول من التوراة مخاطباً إبراهيم الخليل عليه السلام: وأما إسماعيل فقد قبلت دعاءك. ها أنا قد باركت فيه، وأثمِره وأكثره جدّاً جدّاً» وقد علّق السموءل على الآية من التوراة وعلى كلمة ماد ماد التى جاءت فيها بالقول[٣]: «وإذا كانت هذه الآية أعظم الآيات مبالغةً فى حق إسماعيل وأولاده، وكانت تلك الكلمة أعظم مبالغةً من باقى كلمات تلك الآية، فلا عجب أن تتضمن الاشارة إلى أجلّ أولاد إسماعيل شرفاً وأعظمهم قدراً، صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم» وفى هذا المعنى يقول ابن القيم[٤]: «وفى التوراة ما ترجمته بالعربية: وأمّا فى إسماعيل فقد قبلت دعاك ها أنا قد باركت فيه وأثمره وأكبره بُمأَذ مُأَذ. هكذا هذه اللفظة مُأذ على وزن عُمَر. وقد اختلف فيها علماء أهل الكتاب. فطائفةٌ يقولون: معناها جداً جدّاً، أى كثيراً كثيراً. فإن كان هذا معناها فهو بشارةٌ بمن عظم من بنيه كثيراً كثيراً. ومعلومٌ أنه لم يعظم من بنيه أكثر مما عظم من محمد ﷺ. وقالت طائفةٌ أخرى: بل هى صريح اسم محمد. قالوا: ويدل عليه أن ألفاظ العبرانية قريبةٌ من ألفاظ العربية، فهى أقرب اللغات إلى العربية... فإذا أخذت لفظة: مُؤَذ مُؤَذ وجدتها أقرب شىءٍ إلى لفظة محمد، وإذا أردت تحقيق ذلك فطابق بين ألفاظ العبرانية والعربية».

وتحت فصلٍ عنوانه: ذكر الموضع الذى أشير فيه إلى نبوة الكليم والمسيح والمصطفى عليهم السلام، وبعد أن يذكر السموءل النص التوراتى يقول[٥]: «تفسيره: قال: إن الله تعالى من سيناء تجلى، وأشرق نوره من سيعير، وأطلع من جبال فاران ومعه ربوات القديسى. وهم يعلمون أن جبل سيعير هو جبل الشراة الذى فيه بنو العيص، الذين آمنوا بعيسى عليه السلام، بل فى هذا الجبل كان مقام المسيح عليه السلام. ويعلمون أن سيناء هو جبل الطور، لكنهم لا يعلمون أن جبل فاران هو جبل مكة.

---

(١) انظر إفحام اليهود ٦٠ - ٦٤ أما الشق الآخر من الرسالة فإنه ذكر فيه الرؤيا التى رأى فيها المصطفى ﷺ وأعلن فيها إسلامه بين يديه ﷺ. انظر إفحام اليهود ٦٥ - ٧٤.

(٢) إفحام اليهود ١١٥.

(٣) إفحام اليهود ١١٧.

(٤) هداية الحيارى ٦١.

(٥) إفحام اليهود ١١٨.

وفى الإشارة إلى هذه الاماكن الثلاثة التى كانت مقام نبوة هؤلاء الانبياء ما يقتضى للعقلاء أن يبحثوا عن تأويله المؤدى إلى الامر باتباع مقالتهم.

فأما الدليل الواضح من التوراة على أن جبل فاران هو جبل مكة فهو أن إسماعيل لما فارق أباه الخليل عليه السلام سكن إسماعيل فى برية فاران ونطقت التوراة بذلك فى قوله. . . وأقام فى برية فاران وأنكحته أمه امرأةً من أرض مصر. فقد ثبت فى التوراة أن جبل فاران مسكنٌ لآل إسماعيل. وإذا كانت التوراة قد أشارت فى الآية التى تقدم ذكرها إلى نبوةٍ تنزل على جبل فاران، لزم أن تكون تلك النبوة على آل اسماعيل لانهم سكان فاران.

وقد علم الناس قاطبةً أن المشار إليه بالنبوة من ولد إسماعيل محمد ﷺ وأنه بُعث من مكة التى كان فيها مقام إسماعيل.

فدل ذلك على أن جبال فاران هى جبال مكة وأن التوراة أشارت فى هذا الموضع إلى نبوة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه، وبشرت به».

وفى هذا الشأن يقول ابن القيم[1]: «قال فى التوراة فى السفر الخامس: أقبل الله سبحانه من سيناء، وتجلى من ساعير، وظهر من جبال فارانْ، ومعهُ ربوات الإظهار عن يمينه. وهذه متضمنةٌ للنّبوّات الثلاثة، نبوّة موسى، ونبوّة عيسى، ونبوّة محمّد ﷺ. فمجيئه من سيناء، وهو الجبل الذى كلم الله عليه موسى ونبأه عليه، إخبارٌ عن نبوته. وتجليه من ساعير هو مظهر المسيح من بيت المقدس. وساعير قريةٌ معروفةٌ هناك إلى اليوم. وهذه بشارةٌ بنبوة المسيح. وفاران هى مكة. وشبه سبحانه نبوة موسى بمجىء الصُّبح، ونبوة المسيح بعدها بإشراقه وضيائه، ونبوة خاتم الانبياء بعدهما باستعلاء الشمس وظهور ضوئها فى الآفاق. ووقع الامر كما أخبر به سواء. فإن الله سبحانه صدع بنبوة موسى ليل الكفر فأضاء فجره بنبوته، وزاد الضياء والاشراق بنبوة المسيح، وكمل الضياء واستعلن وطبق الارض بنبوة محمد صلوات الله وسلامه عليهم. وذكر هذه النبوات الثلاثة التى اشتملت عليها هذه البشارة نظير ذكرها فى أول سورة التين: ﴿**والتين والزيتون. وطور سينين. وهذا البلد الأمين**﴾ فذكر أمكنة هؤلاء الانبياء وأرضهم التى خرجوا منها. ﴿**والتين والزيتون**﴾. والمراد بهما منبتهما وأرضهما وهى

(١) هداية الحيارى ٥٣.

الارض المقدسة التى هى مظهر المسيح. ﴿وطور سينين﴾. الجبل الذى كلم الله عليه موسى فهو مظهر نبوته. ﴿وهذا البلد الأمين﴾. مكة حرم الله وأمنه التى هى مظهر نبوة محمد صلوات الله وسلامه عليهم. فهذه الثلاثة نظير تلك الثلاثة سواء» ويقول[١]: «إن إسماعيل لما فارق أباه سكن فى برية فاران. هكذا نطقت التوراة. ولفظها: وأقام إسماعيل فى برية فاران وأنكحته أمه امرأةً من [جرهم]. ولا يشك علماء أهل الكتاب أن فاران مسكنٌ لآل إسماعيل، فقد تضمنت التوراة نبوةً تنزل بأرض فاران. وتضمنت نبوةً تنزل على عظيم من ولد إسماعيل، وتضمنت انتشار أمته وأتباعه حتى يملئوا السهل والجبل» وجاء فى موضع آخر[٢]: «وكان المسيح من ساعير أرض الخليل بقرية تدعى ناصرة، وباسمها تسمى من اتّبع نصارى» وجاء فى موضع آخر[٣]: «قال علماء الإسلام: وساعير جبلٌ بالشام منه ظهور نبوة المسيح. وإلى جانبه قرية بيت لحم القرية التى ولد فيها المسيح تسمى اليوم: ساعير. ولها جبالٌ تسمى ساعير» وحول اختلاف ترتيب المواضع الثلاثة والنبوات الثلاث فى كلٍ من التوراة ولإنجيل والقرآن يقول ابن القيم[٤]: «لما كان ما فى التوراة خبراً عن ذلك أخبر به على الترتيب الزمانى، فقدم الاسبق ثم الذى يليه. وأما القرآن فإنه أقسم بها تعظيماً لشأنها وإظهاراً لقدرته وآياته وكتبه ورسله. فأقسم بها على وجه التدريج درجةً بعد درجة. فبدأ بالعالى، ثم انتقل إلى أعلى منه، ثم أعلى منهما. فإن أشرف الكتب القرآن، ثم التوراة، ثم الإنجيل. وكذلك الأنبياء»[٥].

الإنجيل يبشر بمحمد ﷺ:

فإذا تركنا التوراة إلى الإنجيل استطعنا أن نجد من النصوص التى تبشر بمحمد بن عبد الله ﷺ ما يلى: «إن المسيح قال للحواريين إنى ذاهب وسيأتيكم الفار قليط روح الحق، لا يتكلم من قبل نفسه، إنما هو كما يقال له. وهو يشهد علىّ وأنتم تشهدون لأنكم معى من قبل الناس. وكل شيءٍ أعده الله لكم يخبركم به. وفى إنجيل يوحنا:

(١ هداية الحيارى ٥٣.
(٢) هداية الحيارى ٦٧ نقلاً عن أبى محمد ابن قتيبة.
(٣) هداية الحيارى ٦٧.
(٤) هداية الحيارى ٦٨.
(٥) بشأن نصوص أخرى من التوراة فى نبوة محمد ﷺ انظر هداية الحيارى ٥٤ الوجه الثالث و٥٥ الوجه الرابع.

الفارقليط لا يجيئكم ما لم أذهب. وإذا جاء وبخ العالم على الخطيئة، ولا يقول من تلقاء نفسه ولكنه مما يسمع به ويكلمكم ويسوسكم بالحق ويخبركم بالحوادث والغيوب. . . وفى موضع آخر: إنى سائلٌ له أن يبعث إليكم فار قليطاً آخر يكون معكم إلى الابد، وهو يعلمكم كل شىء. وفى موضعٍ آخر: ابن البشر ذاهبٌ والفارقليط من بعده يجىء لكم بالأسرار ويفسر لكم كل شىء. وهو يشهد لى كما شهدت له، فإنى أجيئكم بالأمثال وهو يأتيكم بالتأويل. قال أبو محمد بن قتيبة: وهذه الأشياء على اختلافها متقاربة، وإنما اختلفت لأن من نقلها عن المسيح ﷺ فى الإنجيل من الحواريين عدّة.

والفار قليط بلغتهم لفظٌ من ألفاظ الحمد، إما أحمد أو محمد أو محمود أو حامد أو نحو ذلك»[١] «وقال مَتَّى: قال المسيح: ألم تروا أن الحجر الذى أخره البناءون صار أساً للزاوية من عند الله. كان هذا وهو عجيبٌ فى أعيننا. ومن أجل ذلك أقول لكم: إن ملكوت الله سيؤخذ منكم ويدفع إلى أمةٍ أخرى تأكل ثمرتها. ومن سقط على هذا الحجر ينشدخ. وكل من سقط عليه يمحقه»[٢] «وقال يوحنا: قال المسيح: إن أركون العالم سيأتى وليس لى شىء»[٣] وأركون العالم هو عظيم العالم وكبير العالم. وتأمل قول المسيح فى هذه البشارة التى لا ينكرونها: إن أركون العالم سيأتى وليس لى من الامر شىء، كيف هى شاهدةٌ بنبوة المسيح ونبوة محمد معاً فإنه لما جاء صار الامر له دون المسيح. فوجب على العالم كلهم طاعته والانقياد لأمره وصار الأمر له حقيقة. ولم يبق بأيدى النصارى إلا دينٌ باطله أضعاف حقه، وحقه منسوخٌ بما بعث الله به محمداً ﷺ، فطابق قول المسيح قول أخيه محمد ﷺ: ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً وإماماً مقسطاً فيحكم بكتاب ربكم. وقوله فى اللفظ الآخر: يأتيكم بكتاب ربكم. فطابق قول الرسولين الكريمين وبشر الأول بالثانى وصدق الثانى بالأول. وتأمل قوله فى البشارة الأخرى: ألم تر إلى الحَجَر الذى أخره البناءون صار أُساً للزاوية، كيف تجده مطابقاً لقول النبى ﷺ: مثلى ومثل الأنبياء قبلى كمثل رجلٍ بنى داراً فأكملها وأتمها إلا موضع لبنةٍ منها، فجعل الناس يطوفون بها ويعجبون منها ويقولون: هلا وضعت تلك اللبنة، فكنت أنا تلك اللبنة[٤].

---

(١) هداية الحيارى ٥٥.
(٢) هداية الحيارى ٥٦.
(٣) هداية الحيارى ٥٦.
(٤) هداية الحيارى ٦٢.

وإذا تأملت التوراة والإنجيل والكتب وتأملت القرآن وجدته كالتفصيل لمجملها والتأويل لأمثالها والشرح لرموزها. وهذا حقيقة قول المسيح: أجيئكم بالأمثال ويجيئكم بالتأويل ويفسر لكم كل شيء[١].

وتأمل قول النبى ﷺ وقد سئل ما أول أمرك قال: أنا دعوة أبى ابراهيم وبشرى عيسى[٢].

(١) هداية الحيارى ٦٣.
(٢) هداية الحيارى ٦٤.

سؤال رقم

٤

مَنْ هو
المؤسس الحقيقي للإسلام ؟

حينما ننظر إلى الفئات التى أنعم الله تعالى عليها فى قوله عز من قائل[١]: ﴿ومن يُطِع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين. وحسن أولئك رفيقا. ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما﴾ نتبين أن ثمة نعمتين اثنتين هما محض فضلٍ من الله تعالى. وهاتان النعمتان هما نعمة الرسالة ونعمة النبوة. والمعروف أن نعمة النبوة هى الطريق الوحيد المؤدى إلى نعمة الرسالة، ولذا فإن فى ذكر النبيين على رأس قائمة المنعم عليهم ذكراً ضمنياً لنعمة الرسالة التى جاءت الإشارة إليها فى القول: ﴿ومن يطع الله والرسول﴾ ولما كانت درجة النبوة هى الطريق الوحيد المؤدى إلى درجة الرسالة الأعلى كان فى هذه الآية الكريمة من سورة الأحزاب[٢]: ﴿ما كان محمدٌ أبا أحدٍ من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين. وكان الله بكل شىءٍ عليما﴾ وصفٌ للمصطفى ﷺ بأنه خاتم النبيين، لان فى إغلاق باب النبوة الطريق الوحيد المؤدى إلى الدرجة الأعلى درجة الرسالة إغلاقاً ضمنياً لدرجة الرسالة الأعلى، وهذا من باب الأولى والأحرى.

أما وقد تبين أن درجتى النبوة والرسالة محض فضلٍ من الله تعالى على المصطَفَيْن من عباده جل وعلا الأخيار، وأن محمد بن عبد الله ﷺ قد أنعم الله تعالى عليه بأنه خاتم النبيين وأشرف المرسلين، فإن ذلك كله معناه أن محمد بن عبد الله ﷺ الذى أرسله الله تعالى بدين الاسلام الناسخ لكل دينٍ سواه والذى أوحى الله تعالى إليه القرآن الكريم لا يدله فى فضل الله تعالى العظيم الذى أسبغه الله تعالى عليه واصطفاه به. وما أكثر الآيات الكريمات فى معرض المن من الله تعالى على رسوله الكريم ﷺ. قال تعالى[٣]: ﴿وما كنت ترجو أن يُلْقَى إليك الكتابُ إلا رحمةً من ربك فلا تكونن ظهيراً للكافرين﴾ وقال تعالى[٤]: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى إلى صراطٍ مستقيم. صراط الله الذى له ما فى السموات ومافى الأرض. ألا إلى الله تصير الأمور﴾ وقال تعالى[٥]: ﴿ولولا فضلُ الله عليك ورحمتُه لهمت طائفةٌ منهم أن يضلوك

(١) سورة النساء الآية ٦٩، ٧٠.
(٢) سورة الأحزاب الآية ٤٠.
(٣) سورة القصص الآية ٨٦.
(٤) سورة الشورى الآية ٥٢، ٥٣.
(٥) سورة النساء الآية ١١٣.

وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شيء. وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما﴾ وقال تعالى[١]: ﴿إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون. نحن نقص عليك أحسن القَصَص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين﴾ وقال تعالى[٢]: ﴿وما كنت تتلو من قبله من كتابٍ ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون. بل هو آياتٌ بيناتٌ فى صدور الذين أوتوا العلم. وما يجحد بآياتنا الظالمون﴾ وقال تعالى[٣]: ﴿وإذا جاءتهم آيةٌ قالوا لن نؤمن حتى نُؤتَى مِثْلَما أوتى رُسُل الله. الله أعلم حيث يجعل رسالته. سيصيب الذين أجرموا صغارٌ عند الله وعذابٌ شديدٌ بما كانوا يمكرون﴾.

من الآيات الكريمات السابقات وغيرها من الآيات الكريمات يتبين أن محمد بن عبد الله ﷺ الرسول النبى الامى ما كان يدرى قبل أن يصطفيه الله تعالى بنعمة النبوة ما الكتاب ولا الإيمان ولا الوحى. إن المصطفى ﷺ حينما كان فى غار حراءٍ يعبد الله تعالى على دين إبراهيم عليه السلام جاءه الحق وجاءه المَلَك جبريل عليه السلام بأولى قطرات غيث القرآن الكريم، بالآيات الأُوَل من سورة العلق: ﴿اقرأ باسم ربك الذى خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذى علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم﴾[٤] لقد أكرم الله تعالى حبيبه المصطفى ﷺ بنعمتى النبوة والرسالة وبالقرآن الكريم، وبالحكمة بمعنى السنة النبوية المطهرة، وبنعمة ختم النبوة وبالرسالة الخاتمة، وبدين الاسلام الذى قال الله تعالى فيه[٥]: ﴿إن الدين عند الله الاسلام﴾ وقال تعالى[٦]: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يُقْبَلَ منه وهو فى الآخرة من الخاسرين﴾ وقال تعالى[٧]: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ وقال تعالى[٨]: ﴿هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾ وقال تعالى[٩]: ﴿هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره

(١) سورة يوسف الآية ٢، ٣.
(٢) سورة العنكبوت الآية ٤٨، ٤٩.
(٣) سورة الأنعام ١٢٤.
(٤) انظر هنا مثلاً فتح البارى ١/ ٢٢ فما بعدها.
(٥) سورة آل عمران الآية ١٩.
(٦) سورة آل عمران الآية ٨٥.
(٧) سورة المائدة الآية ٣.
(٨) سورة التوبة الآية ٣٣ والصف الآية ٩.
(٩) سورة الفتح الآية ٢٨.

على الدين كله. وكفى بالله شهيداً﴾ وقال تعالى[1]: ﴿ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين﴾.

من كل ما سبق يتبين أن الاسلام هو الدين الذى أرسل الله تعالى به خاتم النبيين وأشرف المرسلين محمد بن عبد الله ﷺ واصطفاه به وأوحاه إليه دون أن يكون منه ﷺ قبل أن يوحى الله تعالى إليه علمٌ بشىءٍ من ذلك الفضل العظيم عليه فضلاً عن أن يكون منه عليه الصلاة والسلام تطلعٌ إلى تلك النعم والآلاء. إن الله سبحانه وتعالى هو الذى أرسل محمد بن عبد الله ﷺ بدين الإسلام.

(١) سورة النحل الآية ١٢٣.

سؤال رقم

٥

نرجوكم أن تقدموا عرضاً مختصرا
عن الإسلام من حيث :

* العقيدة :
* أركان الإسلام
* المراتب الدينية في الإسلام
* أنواع الوحي في الإسلام

نود أن نجيب عن هذا السؤال وفق ترتيب العناصر فى السؤال .

عقيدة التوحيد :

سبق لنا ، بشأن السؤال الذى يطلب ذكر ثلاث نقاط تميز الإسلام عن النصرانية، أن أشرنا إلى أولى النقاط وأهمها وهى توحيد الله تعالى . وقد استشهدنا على ذلك ببعض آيى القرآن الكريم، ومن هذه الآيات الكريمات سورة الإخلاص . قال تعالى : ﴿**قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفواً أحد**﴾ .

أركان الإسلام :

أركان الإسلام خمسة :

شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

إقام الصلاة .

إيتاء الزكاة .

صوم رمضان

حج بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلا[١] .

المراتب الدينية فى الإسلام :

انطلاقاً من قوله تعالى فى سورة الحجرات[٢]: ﴿**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا . إن أكرمكم عند الله أتقاكم . إن الله عليمٌ خبير**﴾ وبناءً على الحديث النبوى الشريف[٣]: إنما الاعمال بالنيات، ولما كانت التقوى محلها القلب ولا يعلم ما فى القلب إلا الله تعالى كان فى الإسلام مراتب، يعلم الله تعالى وحده لا شريك له من استمسك بة باليمها وأدركها .

إن ثمة ثلاث مراتب متدرجةً إلى الأعلى وهى الإسلام والإيمان والإحسان .

أما الإسلام فقد عرفنا أركانه الخمسة .

---

(١) انظر مثلاً صحيح البخارى ١/ ٩ وهذه الأركان فى الحديث المتفق عليه .
(٢) سورة الحجرات الآية ١٣ .
(٣) انظر مثلاً صحيح البخارى ١/ ٢١ .

وأما الإيمان فإن أركانه ستة نص عليها الحديث النبوى الشريف وهى: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره[١].

وأما الإحسان فإنه ركنٌ واحدٌ نص عليه الحديث النبوى الشريف وهو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك[٢].

وإذا كانت مرتبة الإسلام تفضى إلى مرتبة الإيمان، وكانت مرتبة الإيمان تفضى إلى مرتبة الإحسان، أرفع الدرجات الثلاث، فإن بين أركان الإسلام والإيمان نوعاً من التداخل نستطيع أن نتبينه حينما نتدبر أركان الإسلام وأركان الإيمان.

إنه بناءً على التداخل بين أركان الإسلام وأركان الإيمان كان ثمة تداخل بين هاتين المرتبتين.

وتفسير ذلك أن الإسلام يبدأ بالنطق بالشهادتين شهادة ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، بمعنى أن الشّهادتين هما الرّكن الأوّل من أركان الإسلام. ولمّا كان النطق بالشهادتين من عمل اللسان الدال على اعتقاد القلب وكان بحاجةٍ إلى الدليل على صدق النطق بالشهادتين وصحة المعتقد فقد تحقق ذلك الدليل فى بقية أركان الإسلام، وهى: أولاً: إقامة الصلاة المفروضة وهى خمس صلواتٍ فى اليوم والليلة، ركعتان فى الفجر وأربعٌ فى كلٍّ من الظهر والعصر وثلاثٌ فى المغرب وأربعٌ فى العشاء. وثانياً: إيتاء الزكاة فى أربعة أصنافٍ من المال، وهى أكثر الأموال دوراً بين الخلق، وحاجتهم إليها ضرورية. أحدها: الزرع والثمار. الثانية: بهيمة الأنعام، الإبل والبقر والغنم. الثالث: الجوهران اللذان بهما قوام العالم وهما الذهب والفضة. الرابع: أموال التجارة على اختلاف أنواعها[٣] وتتفاوت الزكاة بين الاثنين والنصف فى المائة وبين العشرين فى المائة. إن ما يعثر عليه فى الأرض من دفائن وكنوز وثروات طبيعية، وهو ما يسمَّى بالرِّكاز، يشترط إخراج زكاته على الفور ومقدارها الخُمُس أى عشرون فى المائة. وتجب الزكاة بشرطين إذا حال الحول وصح ملك النصاب. وفيما يتصل بالزروع والثمار تجب على الفور لقوله تعالى[٤]: ﴿**وآتوا حقه يوم حصاده**﴾. وثالثاً صيام شهر رمضان ورابعاً

(١) متن الأربعين النووية ٣١ وصحيح البخارى ١/ ٢٠.
(٢) صحيح البخارى ١/ ٢٠.
(٣) زاد المعاد ١/ ١٨١.
(٤) سورة الأنعام الآية ١٤١.

حج بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلا مرةً واحدةً فى العمر.

فإذا تحولنا إلى أركان الإيمان تبينا أنها هى أن تؤمن بالله تعالى، ويلتقى هذا الركن مع الرّكن الأول من أركان الإسلام وهو الشهادتان، وأن تؤمن بملائكته، وتؤمن بكتبه ومنها القرآن الكريم، وتؤمن برسله، ومنهم خاتمهم وأشرفهم محمد بن عبد الله ﷺ، ويلتقى هذا الركن مع الركن الأول من أركان الإسلام أيضاً، وأن تؤمن باليوم الآخر يوم القيامة وبالبعث والحساب فالثواب أو العقاب، وتؤمن بالقدر خيره وشره من الله تعالى، وذلك بأن تعتقد بأن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك.

ويظل المسلم يتقرب إلى الله تعالى بما فرض عليه من واجبات وسن له من نوافل، ويظل يتقلب فى درجات الإسلام والإيمان حتى يصل إلى قمة الإسلام والايمان وهى مرحلة الاستسلام المطلق للذات العلية. إن مرحلة الاستسلام هذه يطلق عليها لفظ الإسلام كذلك. وكأن لفظة الإسلام تمثل أولى درجات الإسلام بإعلان الدخول فى الإسلام وذلك بالنطق بالشهادتين، وتمثل أعلى درجات الإيمان بين يدى درجة الإحسان ذات الركن الواحد الذى تبينا من ذى قبل.

وإذا كان الإحسان ركناً واحداً وهو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك فإن هذا الإحسان يكاد يكون له وجهٌ آخر وهو تقوى الله تعالى بمعنى خوفه جل وعلا فى السر والعلن وفعل الأوامر واجتناب النواهى.

وهكذا يتبين أن درجة الإحسان إذا كانت ذات ركنٍ واحد فإن درجتى الإسلام والإيمان المفضيتين إليها متداخلتان بحيث إن الإسلام إذا كان من جهة الابتداء يمثل بداية الدخول فى دين الإسلام فإنه من جهة الانتهاء يصح أن يمثل نهاية درجة الايمان. ومن الآيات الكريمات التى تدل على الإسلام فى أولى درجاته قوله تعالى[١]: ﴿**قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم**﴾ وقوله تعالى[٢]: ﴿**يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم**﴾ ومن الآيات الكريمات التى تدل على الإسلام فى رفيع درجاته قوله تعالى[٣]: ﴿**قل إنى نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءنى البينات من ربى وأمِرت أن أُسْلِمَ لرب**

(١) سورة الحجرات الآية ١٤.
(٢) سورة التوبة الآية ٧٤.
(٣) سورة غافر الآية ٦٦.

العالمين﴾. وقوله تعالى[١]: ﴿قل إن هدى الله هو الهدى وأُمِرْنا لنُسْلِم لرب العالمين﴾.

أنواع الوحى :

فى الإسلام ثلاثة أنواعٍ من الوحى.
القرآن الكريم.
الحديث القدسى.
الحديث النبوى الشريف.

وإن كلاً من هذه الأنواع الثلاثة من الوحى بحاجةٍ إلى تبيين يتضح منه ما بينها من فروق.

القرآن الكريم :

هو كلام الله تعالى المتعبد بتلاوته الموحى به بواسطة رسولٍ من الملائكة كريم، هو جبريل عليه السلام أمين الله تعالى على وحيه، إلى رسولٍ من البشر كريم، هو محمد بن عبد الله ﷺ، المتحدى به الإنس والجن أن يأتوا بمثل سورةٍ واحدةٍ من أقصر سوره. فالقرآن الكريم موحًى به لفظاً ومعنًى، ومتواتر اللفظ فى نقله، وتجب روايته وتلاوته بلفظه.

الحديث القدسى :

هو ما يرويه الرسول ﷺ عن ربه جل وعلا. فالمعنى من الله تعالى ويغلب على الحديث القدسى أن يكون اللفظ من الله تعالى. والحديث القدسى غير متحدًّى به، ولا يشترط التواتر فى نقله، ويجوز روايته بالمعنى عند الحاجة. والحديث القدسى يكون الإيحاء به بواسطة جبريل عليه السلام وعن طريق الرؤيا[٢].

الحديث النبوى الشريف :

الحديث النبوى الشريف موحىً به من الله تعالى من جهة المعنى، أما لفظه فمن المصطفى ﷺ الذى خصه الله تعالى بجوامع الكلم، أى بالكلام القليل الألفاظ الكثير

(١) سورة الأنعام الآية ٧١.
(٢) انظر هنا أدب الأحاديث القدسية. د. أحمد الشرباصى ٩، ١٠.

المعانى. جاء فى نعت النبى ﷺ فى سورة النجم[١] قوله تعالى: ﴿**وما ينطق عن الهوى. إن هو إلا وحىٌ يوحى**﴾.

والحديث النبوى الشريف جزءٌ من السنة النبوية المطهرة. والسنة النبوية المطهرة عبارةٌ عن أقواله ﷺ وأفعاله وتقريراته وصفاته. والمراد بتقريراته ﷺ ما أقر غيره على فعله فعلى سبيل المثال أُكل الضَّبُّ على مائدة المصطفى ﷺ، فَعُلِمَ أن أكله حلال مع أن النبى ﷺ لا يأكله لان نفسه عليه الصلاة والسلام تعافه. والمراد بصفاته ﷺ شمائله عليه الصلاة والسلام. ومِنْ ألطف الكتب فى هذا الفن كتاب: الشّمائل المحمدية للإمام أبى عيسى محمد بن سَوْرة الترمذى صاحب سنن الترمذى. ويشتمل كتاب الشّمائل المحمدية على ثلاثمائة وسبعةٍ وتسعين حديثاً[٢].

(١) سورة النجم الآية ٣، ٤.
(٢) الشمائل المحمدية ٣.